السمكة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

حدَّث أحمدُ بن مسكينٍ الفقيهُ البَغدادي قال : حصَلتُ في مدينة (بَلْخ) سنة ثلاثين ومائتين ، وعالمُها يومئذ شيخُ خراسان أبو عبد الرحمن[1] الزاهد صاحبُ المواعظ والحِكَم ، وهو رجل قلبُه من وراء لسانه ، ونفسُه من وراء قلبه ، والفلكُ الأعلى من وراء نفسه ، كأنه يُلقَّى عليه فيما زعموا ؛ وكان يقال له عندهم (لُقمانُ هذه الأمّة) لِمَا يعجبهم من حِكَمه في الزهد والموعظة . وقد حضرتُ مجالسه وحفظتُ من كلامه شيئاً كثيراً كقوله : من دخل في مذهبنا هذا ، (يعني الطريق) فليجعلْ على نفسه أربعَ خصال من الموت : موتٌ أبيض ، وموتٌ أسود ، وموتٌ أحمر ، وموتٌ أخضر ؛ فالموت الأبيض الجوع ، والموت الأسود احتمال الأذى ، والموت الأحمر مخالفةُ النفس ، والموت الأخضر طرحُ الرِّقاع بعضها على بعض (يعني لبس الرقعة والخَلَق من الثياب)

وقلت يوما لصاحبه وتلميذه (أبي تُراب) وجارَيْتُه في تأويل هذا الكلام : قد فهمنا وجهَ التسمية في الموت الأخضر ما دامت المرقعةُ خضراء ، فما الوجهُ في الأبيض والأسود والأحمر ؟ فجاء بقول لم أرضه ، وليس معه دليل ، ثم قال فما عندك أنت ؟ قلت : أما الجوع فيُميت النفس عن شهواتها ويتركها بيضاء نقية ، فذلك الموت الأبيض ؛ وأما احتمال الأذى فهو احتمال سواد الوجه عند الناس فهو الموتُ الأسود وأما مخالفة النفس فهي كاضرام النار فيها ، فذاك الموت الأحمر

قال أحمد بن مسكين : وكنت ذات نهارٍ في مسجد (بلخ) والناس متوافرون ينتظرون (لقمانَ الأمة) ليسمعوه وشغله بعضُ الأمر فراث عليهم ، فقالوا : من يعظنا إلى أن يجيء الشيخ ؟ فالتفت إليّ أبو تراب وقال : أنت رأيت الامام أحمد ابن حنبل ، ورأيتَ بِشرا الحافي وفلاناً وفلاناً ، فقم فحذِّر الناسَ عنهم ، فانما هؤلاء وأمثالهم هم بقايا النبوّة ، ثم أخذ بيدي إلى الاسطوانة التي يجلس اليها إمامُ خراسان فأجلسني ثم وقعد بين يدي

وتطاولت الأعناق ، ورماني الناس بأبصارهم ، وقالوا البغدادي ! البغدادي ! وكأنما ضوعفتُ عندهم بمجلسي هو وبنسبتي مرةً أخرى ، فقلت في نفسي : والله ما في الموت الأحمر ولا الأخضر ولا الأسود موعظة ، ولو لبس عزرائيل قوس قُزَح

(١) هو حاتم بن يوسف شيخ خراسان وواعظها توفي سنة ٢٣٧ للهجرة

ثم كل عربة تصدم ما بعدها الى آخر القطار

* * *

ليس لهذا من علاج إلا فهم العزة بمعناها الدقيق ، وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد ، وأن تقف موقفا له جانبان ، فان نظرت الى من هو أعلى منك في المنصب والجاه والجنسية فلا تمكنه أن ينال من نفسك ولو ذرة ، ولا أن يتعدى حدوده ولو شعرة ؛ وإذا نظرت الى من هو أسفل منك فلا تتعد حدودك ، وإذا شعرت باستخذائه وذلته فارفع مستواه ما استطعت حتى يصل الى الحدود

على أنه ليس هناك أسفل ولا أعلى إلا في مواضعات سخيفة ، فمن الذي قال إن كناس الشارع وضيع وفراش الصلحة وضيع ، والخادم في المنزل وضيع ؟ نعم إن الحالة الاجتماعية فرقت بين الناس في المرتب ونحوه ، ولكن القيمة الحقيقية للانسان وهي ما له من حقوق وواجبات قدر مشترك بين الجميع

فليس من حقك أن تنادي بائع الجرائد « ولد » ولا خادمك بأحقر الأسماء ، ولا فراش المصلحة بما يشعر باحتقاره ، وهو مطالب بالأدب معك ، وأنت مطالب بالأدب معه ، وليس للجندي حق أن يرفع عصاه على بائع لم يتجاوز حدوده ، ولا لأي رئيس أن يخرج عن الأوضاع الأدبية في مخاطبته مرءوسه

فاذا فرغ الرئيس والمرءوس من العمل ، وفرغ سائق السيارة ومالكها ، وفرغ الضابط والجندي والمعلم والتلميذ فكلهم سواء في الحياة الاجتماعية ، وكلهم سواء في الحقوق ، لا ذلة لأحد على أحد ، ولا اعتزاز من أحد على أحد

« مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ! »

أحمد أمين

لأفسد شعرُ هذه الألوان معناه ، وإنما يجب أن يكون كما يجب أن يكون . ولا موعظة فى كلام لم يتلقَّ من نفس قائله ليكون عملاً فيتحول فى النفوس الأخرى عملاً ، ولا يبقى كلاماً ؛ وإنه ليس الوعظُ تأليف القول للسامع يسمعُه ، لكنه تأليفُ النفس لنفسٍ أخرى تراها فى كلامها ، فيكون هذا الكلام كأنه قرابةٌ بين النفسين ، حتى لكأن الدمَ المتجاذبَ يجرى فيه ويدور فى ألفاظه

* * *

وكنت رأيتُ رؤيا (يبلخ) تتصل بقصة قديمة فى بغداد ، فقصصتها عليهم ، فكانت القصة كما حكيتُها أنى امتُحِنتُ بالفقر فى سنة تسع عشرة ومائتين ؛ وانحسمت مادتى وقُحِطَ منزلى قحطاً شديداً جمع علىَّ الحاجة والضرَّ والمسكنة ؛ فلو انكشت الصحراءُ المجدبةُ فصغرت ثم صغرت حتى ترجعَ أذرُعاً فى أذرع لكانت هى دارى يومئذ فى محلة باب البَصرة من بغداد . وجاء يومٌ صحراويٌّ كأنما طلعت شمسُه من بين الرمل لا من بين السُّحُب ، ومرَّت الشمس على دارى فى بغداد مرورها على الورقة الجافة العلقة فى الشجرة الخضراء ؛ فلم يكن عندنا شىء يُسيغه حلقُ آدميّ إذ لم يكن فى الدار إلا ترابُها وحجارتها وأجذاعها ؛ ولى امرأة ولى منها طفل صغير وقد طوينا على جوع يخسِفُ بالجوف خسفاً كما تهبط الأرض ؛ فلتمنيتُ حينئذ لو كنا جرذاناً فنقرضَ الخشب ؛ وكان جوعُ الصبى يزيد المرأة ألماً إلى جوعها ، وكنت بهما كالجائع بثلاثة بطون خاوية ، فقلت فى نفسى : إذا لم نأكل الخشب والحجارة فلنأكل بثمنها ؛ وجمتُ نيتى على بيع الدار والتحول عنها وإن كان خروجى منها كالخروج من جلدى لا يسمى إلا سلخاً وموتاً ؛ وبت ليلتى وأنا كالمُشْخن حُمل من معركةٍ فما ينقلب إلا على جراحٍ تعمل فيه عملَ السيوف والأسنّة التى عملت فيها

ثم خرجتُ بغَلَسٍ لصلاة الصبح ؛ والمسجد يكون فى الأرض ولكن السماء تكون فيه ، فرأيتنى عند نفسى كأنى خرجت من الأرض ساعة . ولما قُضِيت الصلاةُ رفع الناسُ أكفَّهم يدعون الله تعالى وجرى لسانى بهذا الدعاء : اللهمَّ بك أعوذ أن يكون فقرى فى دِينى ، أسألك النفعَ الذى يُصلحنى بطاعتك ، وأسألك بركةَ الرضى بقضائك ، وأسألك القوةَ على الطاعة والرضى يا أرحم الراحمين

ثم جلستُ أتأمل شأنى وأطلتُ الجلوسَ فى المسجد كأنى لم أعد من أهل الزمن فلا تجرى علىَّ أحكامه ، حتى إذا ارتفع الضُّحى وابيضَّت الشمس جاءت حقيقة الحياة فخرجت أتسبب لبيع الدار وانبعثتُ وما أدرى أين أذهب ، فما سرت غير بعيد حتى لقينى أبو نصر الصياد وكنت أعرفه قديماً ، فقلت : يا أبا نصر ! أنا على بيع الدار فقد سلمت الحال وأحْوَجَت الخصاصة ، فأقرضنى شيئاً يُمسكنى على يومى هذا بالقوام من العيش حتى أبيع الدار وأوَفّيك

فقال : يا سيدى ! خذ هذا المنديل إلى عيالك وأنا على أثرك لاحق بك إلى المنزل . ثم ناولنى منديلا فيه رقاقتان بينهما حلوى وقال : إنهما والله بركةُ الشيخ

قلت : من الشيخ وما القصة ؟

قال : وقفتُ أمس على باب هذا المسجد وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة فمر بى أبو نصر بشر الحافى[1] فقال : مالى أراك فى هذا الوقت ؟ قلت : ما فى البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شىء يباع . فقال : اللهُ المستعان ؛ إحمل شبكتك وتعال إلى الخندق ؛ فحملتها وذهبتُ معه ، فلما انتهينا إلى الخندق قال لى : توضّأ وصلِّ ركعتين ، ففعلت ، فقال سَمِّ الله تعالى وألق الشبكة ؛ فسميت وألقيتها ، فوقع فيها شىء ثقيل فجعلت أجره فشقَّ علىّ ؛ فقلت له ساعدنى فانى أخاف أن تنقطع الشبكة ، فجاء وجرها معى فخرجت سمكة عظيمة لم أر مثلها سِمَناً وعِظَماً وفراهة . فقال : خذها وبعها واشتر بثمنها ما يصلح عيالك . فحملتها فاستقبلنى رجل اشتراها ، فابتعت لأهلى ما يحتاجون إليه ، فلما أكلتُ وأكلوا ذكرتُ الشيخ فقلت أهدى له شيئاً ، فأخذتُ هاتين الرقاقتين وجعلت بينهما هذه الحلوى وأتيت إليه فطرقت الباب فقال : من ؟ قلت : أبو نصر ! قال : افتح وضع ما معك فى الدهليز وادخل ، فدخلت وحدثته بما صنعت فقال : الحمد لله على ذلك . فقلت : إنى هيأت للبيت

(١) هو الزاهد العظيم بشر بن الحارث المعروف بالحافى ، توفى سنة ٢٢٧ للهجرة وكان واحد الدنيا فى ورعه وتقواه ؛ وقيل له الحافى لأنه كان فى حداثته يمشى الى طلب العلم حافياً إجلالا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم

شيئاً وقد أكلوا وأكلتُ ومعي رقاقتان فيهما حلوى

قال : يا أبا نصر ! لو أطعمنا أنفسنا هذا ماخرجت السمكة ! اذهب كلْه أنت وعيالك

* * *

قال أحمد بن مسكين : وكنت من الجوع بحيث لو أصبتُ رغيفاً لحسبته مائدة أنزلت من السماء ، ولكن كلة الشيخ عن السمكة أشبعتني بمعانيها شِبَعاً ليس من هذه الدنيا كأنما طعمت منها ثمرة من ثمار الجنة . وطفِقتُ أرددها لنفسي وأتأمل ما تفتُقُ الشهواتُ على الناس ، فأيقنتُ أن البلاء إنما يصيبنا من أننا نفسر الدنيا على طولها وعرضها بكلمات معدودة ، فاذا استقر في أنفسنا لفظ من ألفاظ هذه الشهوات ، استقرت به في النفس كل معانيه من المعاصي والذنوب ، وأخذت شياطين هذه المعاني تحوم على قلوبنا فتُصبح مُهَيَّئين لهذه الشياطين عاملين لها ثم عاملين معها ، فتدخلنا مداخلَ السوء في هذه الحياة وتُقحِمنا في الورطة بعد الورطة وفي الهلكة بعد الهلكة . وما هذه الشياطين إلا كالذباب والبعوض والهوام ، لا تحوم إلا على رائحة تجذبها فان لم تجد في النفس ما تجتمع عليه تفرقت ولم تجتمع ، وإذا ألَمَّت الواحدة منها بعد الواحدة لم تثبت . فلو أننا طردنا من أنفسنا الكلمات التي أفسدت علينا رؤيةَ الدنيا كما خلقت ، لكان للدنيا في أنفسنا شكل آخر أحسن وأجمل من شكلها ، ولكانت لنا أعمال أخرى أحسن وأطهر من أعمالنا

فالشيخ لم يكن في نفسه معنى لكلمة (التلذذ) ، وبطرده من نفسه هذا اللفظ الواحد ، طرد معاني الشر كلها وصلُح له دينُه وخلُصت نفسه للخير ومعاني الخير . ولو أن رجلاً وضع في نفسه امرأةً يعشقها لصارت الدنيا كلها في نفسه كالمخدع ما فيه إلا المرأةُ وحدها بأسبابها اليه وأسبابه اليها

وقد كنتُ سمعتُ في درس شيخنا أحمد بن حنبل هذا الحديث : لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات ؛ فما فهمت والله معناه إلا من كلة الشيخ في السمكة وقد علّمنيها هذا الصياد العامي . فالشياطين تنجذب إلى المعاني ، والمعاني يوجدها اللفظ المستقر في القلب استقرارَ غرض أو شهوة أو طمع ؛ فاذا خلا القلب من هذه المعاني فقد أمن منازعتها له وشغلها إياه فيصبح فوقها لا بينها ؛ ومتى [كان] القلب فوق الشهوات ولم يجد من ألفاظها ما يُعميه وبمد نظرَه إلى الحقائق ، انكشفت له هذه الحقائق فانكشف [له] الملكوت . فاذا وقع بعدُ في واحدة من اللذات ولو (كالرقاقة والحلوى) استعلت الأشياء عليه لحجبته ، وعاد بينها أو تحـ[ـتها] وعمِيَ عمى اللذة ؛ والحجابُ على البصر كأنه تعليقُ ا[لعمى] على البصر

وكنت لا أزال أعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل ضرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه (١) فلم يتـ[ـحول] عن رأيه ، فعلمت الآن من كلة السمكة أنه لم يجعل في [نفسه] للضرب معنى الضرب ، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآد[مي] ولو هو صبر على هذا صبر الانسان لجزع وتحول ، ولو ضـ[ـرب] ضرب الانسان لتألم وتغير ؛ ولكنه وضع في نفسه معنى ثـ[ـبات] السنة وبقاء الدين وأنه هو الأمةُ كلُّها لا أحمد بن حنبـ[ـل] فلو تحوَّل لتحول الناس ولو ابتدع لابتدعوا ؛ فكان صـ[ـبره] صبر أمة كاملة لا صبر رجل فرد ، وكان يُضرَب بالسياط ونفـ[ـسه] فوق معنى الضرب ، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير نالوا منه شيئاً إذ لم يكن جسمه إلا ثوباً عليه ، وكان الرجل [هو] الفكر ليس غير

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل ولكنهم يرونها أمانـ[ـات] قد ائتُمِنوا عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا ؛ [فهم] يُزرعون في الأمم زرعاً بيد الله ولا يملك الزرع غير طبيعته وما كان المعتصم وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته إلا كالأحـ[ـمق] يقول لشجرة التفاح : أثمري غير التفاح

* * *

قال أحمد بن مسكين : أخذتُ الرقاقتين وأنا أقول في نفسي لعن الله هذه الدنيا ! إن من هوانها على الله أن الانسان فـ[ـيها] يلبس وجهَه كما يلبسُ نعله . فلو أن انساناً كانت له نظرة ملائكية ثم اعترض الخلقَ ينظر في وجوههم لرأى عليها وحو[لها] وأقذاراً كالتي في نعالهم أو أقذر أو أقبح ، ولعله كان لا يرى أجـ[ـمل]

(١) كان هذا في سنة ٢١٩ وقد أرادوا الامام العظيم على القو[ل] بخلق القرآن فلم يقل به فأفتى القاضي ابن أبي دؤاد بقتله وشغب عليه ثم ضرب بين يدي المعتصم ، فلما صمم ولم يجب أطلقه المعتصم وندم على ضر[به]

لوجوه التي تستهيم الناسَ وتتصبّاها من الرجال والنساء إلا كالأحذية العتيقة . . .

ولكني أحسست أن في هاتين الرقاقتين سرّ الشيخ ورأيتهما في يدي كالوثيقتين بخير كثير ، فقلت على بركة الله ومضيتُ إلى داري ؛ فلما كنت في الطريق لقيتني امرأةٌ معها صبي فنظرت إلى المنديل وقالت : ياسيدي هذا طفل يتيم جائع ولا صبر له على الجوع فأطعمه شيئاً يرحمك الله ؛ ونظر إليّ الطفل نظرةً لا أنساها حسبتُ فيها خشوعَ ألف عابد يعبدون الله تعالى منقطعين عن الدنيا ، بل ما أظن ألفَ عابد يستطيعون أن يُروا الناس نظرةً واحدةً كالتي تكون في عين صبي يتيم جائع يسأل الرحمة . إن شدة الهمّ لتجعل وجوه الأطفال كوجوه القديسين في عين من يراها من الآباء والأمهات ، لعجز هؤلاء الصغار عن الشر الآدميّ وانقطاعهم إلا من الله والقلب الانسانيّ ، فيظهر وجهُ أحدهم وكأنه يصرخ بمعانيه يقول : ياربّاه ياربّاه !

* * *

قال أحمد بن مسكين : وخيل إلى حينئذ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يُشبعُ هذا الطفلَ وأمه ، والناس عميٌ لا يبصرونها ، وكأنهم يمرون بها في هذا الوطن مرورَ الحمير بقصر الملك ، لو سئلت فضلت عليه الاصطبل الذي هي فيه . . .

وذكرتُ امرأتي وابنها وهما جائعان مذ أمس ، غير أني لم أجد لهما في قلبي معنى الزوجة والولد ؛ بل معنى هذه المرأة المحتاجة وطفلها ، فأسقطتهما عن قلبي ودفعت ما في يدي للمرأة وقلت لها : خذي وأطعمي ابنك ، ووالله ما أملك بيضاء ولا صفراء وإن في داري لمن هو أحوج إلى هذا الطعام ؛ ولولا هذه الحالَةُ بي لتقدمت فيما يصلحك . فدَمَعت عيناها وأشرق وجه الصبي ؛ ولكن طمّ على قلبي ما أنا فيه فلم أجد الدمعة معنى الدمعة ولا للبسمة معنى البسمة

وقلت في نفسي : أما أنا فأطوى إن لم أصب طعاما ، فقد كان أبو بكر الصديق يطوى ستة أيام ، وكان ابن عمر يطوى ، وكان فلان وفلان ممن حفظنا أسماءهم وروينا أخبارهم ؛ ولكن مَن للمرأة وابنها بمثل عقدي ونيتي ؟ وكيف لي بهما ؟

ومشيتُ وأنا مُنكَسِر منقبض وكأني كنت نسيت كلمة الشيخ « لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة » فذكرتها وصرفتُ خاطري إليها وشغلتُ نفسي بتدبرها وقلتُ : لو أني أشبعتُ ثلاثة بجوع اثنين لحُرمت خمس فضائل [1] وهذه الدنيا محتاجة إلى الفضيلة ، وهذه الفضيلة محتاجة إلى مثل هذا العمل ، وهذا العمل محتاج إلى أن يكون هكذا ، فما يستقيم الأمر إلا كما صنعت

وكانت الشمس قد انبسطت في السماء وذلك وقتُ الضحى الأعلى ، فملت ناحيةً وجلستُ إلى حائط أفكر في بيع الدار ومن يبتاعها ؛ فأنا كذلك إذ مرّ أبو نصر الصياد وكأنه مُسْتَطار فرحاً فقال : يا أبا محمد ما يجلسك ههنا وفي دارك الخير والغنى ؟ قلت : سبحان الله ! من أين خرجت السمكة يا أبا نصر ؟

قال : إني لفي الطريق إلى منزلك ومعي ضرورةٌ من القُوت أخذتها لعيالك ودراهمُ استدنتُها لك ، إذا رجلٌ يستدلّ الناس على أبيك أو أحدٍ من أهله ، ومعه أثقال وأحمال ؛ فقلت له أنا أدلك ومشيت معه أسأله عن خبره وشأنه عند أبيك . فقال : إنه تاجر من البصرة وقد كان أبوك أودعه مالاً من ثلاثين سنة فأفلس وانكسر المال ، ثم ترك البصرة إلى خراسان فصلُح أمره على التجارة هناك وأيْسَرَ بعدالمحْنَة ، واستظهر بعدالخذلان ، وأقبل جَدُّه بالثراء والغنى فعاد إلى البصرة ، وأراد أن يتحلل فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحه في هذه الثلاثين سنة وإلى ذلك طرائف وهدايا

* * *

قال أحمد بن مسكين : وأنقلبُ إلى داري فاذا مالٌ جمٌّ وحال جميلة ! فقلت : صدق الشيخ : « لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة » ! فلو أن هذا الرجل لم يلق في وجهه أبا نصر في هذه الطريق في هذا اليوم في هذه الساعة لما اهتدى إلى ، فقد كان أبي مغمورا لا يعرفه أحد وهو حي ؛ فكيف به ميتاً من وراء عشرين سنة ؟

وآليت ليَعلَمَنّ اللهُ شكري هذه النعمة ؛ فلم تكن لي همةٌ

(١) يريد جوعه وجوع امرأته وجوع ابنه ، ثم شبع هذه المرأة وشبع ابنها . فهذه خمس فضائل

إلا البحث عن المرأة المحتاجة وابنها فكفيتُهما وأجريت عليهما رزقاً ، ثم اتّجرت فى المـال وجعلت أربّه بالمعروف والصنيعة والاحسان وهومقبل يزداد ولا ينقص حتى تموّلت وتأثّلت

وكأنى قد أعجبتنى نفسى وسرّنى أنى قد ملأت ســجلات الملائكة بحسناتى ، ورجوت أن أكون قد كُتبت عنـد الله فى الصالحين ، فنمتُ ليلة فرأيتنى فى يوم القيامة والخَلْق يموج بعضُهم فى بعض ، والهولُ هولُ الكون الأعظم على الانسان الضعيف يُسأل عن كل ما مسّه من هذا الكون . وسمعتُ لصائح يقول : يا معشر بنى آدم ! سَجَدَت البهائم شكراً لله أنه لم يجعلها من آدم . ورأيتُ الناس وقد وُسِّمت أبدانهم فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقةً مجسّمة ، حتى لكأن الفاسق على ظهره مدينة كلها مُخزيات !

وقيل : وُضعت الموازين وجىءَ بى لوزن أعمالى . فجُعلت سيئاتى فى كفة وألقيت سجلات حسناتى فى الأخرى ، فطاشت السجلات ورجحت السيئات ، كأنما وزنوا الجبلَ الصخرىّ العظيم الضخم بلُفافة من القطن . .

ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه فاذا تحت كل حسنة شهوةٌ خفيةٌ من شهوات النفس كالرياء والغرور وحب المَحْمَدَة عند الناس وغيرها فلم يسلم لى شىء ، وهلكتْ عنى حجتى ، إذ الحجة ما يُبينه الميزان ، والميزان لم يدلّ إلا على أنى فارغ

وسمعت الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل : بقى هذا

وأنظر لأرى ما هذا الذى بقى ، فاذا الرقاقتان اللتان احسنتُ بهما على المرأة وابنها ! فأيقنتُ أنى هالك ؛ فلقد كنت أحسن بمائة دينار ضربةً واحـدة فما أغنت عنى ورأيتها فى الميزان مع غيرها شيئاً معلّقاً كالغمام حين يكون ساقطا بين السماء والأرض لا هو فى هذه ولا هو فى تلك

ووُضعت الرقاقتان وسمعتُ القائل : لقد طار نصفُ ثوابهما فى ميزان أبى نصر الصياد . فانخـذلتُ انخذالاً شديداً حتى لو كُسرت نصفين لكان أخفّ علىّ وأهون . بيـد أنى نظرت فرأيت كفة الحسنات قد نزلت منزلةً ورجحت بعض الرجحان

وسمعت الصوت : ألم يبق له شىءٌ ؟ فقيل : بقى هذا

وأنظر ما هذا الذى بقى ، فاذا جوع امرأتى وولدى فى ذلك اليوم ! وإذا هو شىء يوضع فى الميزان ، وإذا هو ينزل بكفة ويرتفع بالأخرى حتى اعتدلتا بالسّويّة . وثبت الميزانُ على ذلك فكنت بين الهلاك والنجاة

وأسمع الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل بقى هذا

ونظرت فاذا دموع تلك المرأة المسكينة حين بكت من المعروف فى نفسها ومن إيثارى إياها وابنها على أهلى . ووُضعت فتَرَقْرَقَت عينيها فى الميزان ففارت فطمّت كأنها لجّةٌ تحت اللجة بحر . وإذا سمكةٌ هائلة قد خرجت من اللجة وقع فى نفسى أنها روح تلك الدموع ، فجعلت تعظم ولا تزال تعظم والكفة ترجح ولا تزال ترجح ، حتى سمعتُ الصوت يقول قد نجا !

وصحت صيحةً انتبهتُ لها فاذا أنا أقول : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الـكتب الحديثة

		الثمن ص
الشوقيات « جزء ثالث »	لخالد الذكر أحمد شوقى بك	٨
الانجليز فى بلادهم	للدكتور حافظ عفيفى باشا	٤٠
أديب	للدكتور طه حسين	١٠
محمد	للأستاذ توفيق الحكيم	٢٥
المختار	للأستاذ عبد العزيز البشرى	١٥

اطلبوها من مكتبة النهضة المصرية

شارع المدابغ رقم ١٥ — القاهرة

يضاف قرشان إلى ثمن كل كتاب يطلب إرساله بالبريد